

تفسير

سورة

من

نظام القرآن

تاويل الفرقان بالفرقان

تاليف

المعلم عبد الحميد الفراهي

طبع في مطبعة معارف اعظم گڑھ

الهند ۱۳۴۸ھ

تفسير
سورة عبس وتولّى

فهرس مطالب الفصول

سورة عبس ٨٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا
مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ
أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩)
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)

---

(١) (جملة القول في عمود السورة وموقعها وربطها بما قبلها)

لايخفي ان هذه السورة من النذر وكان الانذار اهم مطالب اول الدعوة و مع ذلك تتنوع وجوه البيان ففي هذه السورة بني الكلام على كف النبي عن اضاعة الوقت بالذين اصروا على كفرهم وعصيانهم ومن ههنا يعطف وجه المقال الى تشنيع هولاء المصرين والى ذكر الدلائل على شناعة استغنائهم والى ذكر اجرهم على طريق المقابلة ذكر الذين هم خلاف هولاء لان الشئ يتبين بضده وليجمع الترهيب بالترغيب ولكي يبين للنبي ان الاشتغال بالمومنين اقدم واولى. وقد ختم السورة السابقة بقوله [انما انت منذر من يخشها] فبين في هذه السورة انك غير مامور بالالحاح على الذين لايخشون ولما علم الله ان

النبي عليه الصلوٰة لغاية رأفته لا يكاد يملك نفسه عن الالحاح اكثر في القرآن من النهي عنه على طرق شتى. ولما ان القرآن ينتظر الوقائع المناسبة لتعليم الامور فاخذ واقعة الاعمى سببا لصرف النبيؐ عن الاصرار الذي لا يليق بشأنه فاخرج الكلام مخرج التنبيه والعتاب بحسب الظاهر. والمقصود مما جاء في القرآن من الامر بالاعراض عن المنكرين هو زجرهم وتشنيع امرهم وذلك اسلوب من اتمام الدعوة. ولا خفاء على ما ذكرنا من تاويل هذه السورة عند المتوسم البصير و لكن زل فيه القلم من بعض المفسرين عفا الله عنهم كما سياتيك بيانه في الفصول الآتية فلنقدم قولا وجيزا في عظيم خلق الانبياء والوجه الصحيح لما يخاطبون به على اسلوب العتاب.

(۲) (في عظيم خلق الانبياء وعصمتهم وموقع العتاب بهم)

قد علمنا بصريح العقل والنقل ان الله تعالى يصطفي للرسالة اكرم الناس واتقاهم كما قال تعالى [والله اعلم حيث يجعل رسالته] وقال في نبينا [وانك لعلى خلق عظيم] اذكر الخبر الذي جاء في الصحيحين عن عائشة ان النبيؐ بكفه وجميع الناس بكفة حتى اذا رجحهم اعطي الرسالة ثم بعد اصطفائهم يصرفهم الله كيف يشاء فيأمرهم وينهاهم ويعلمهم ما لم يعلموا فكانهم من اصابعه ويمشون بين يديه كما قال تعالى [فانك باعيننا] وقال تعالى [فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا] فهذا بيان لنظره الكامل الى رسله وانه تعالى يعصم رسوله عن كل زيغ ويتدارك قبل ان يقع فيه فاذا جرى في سمت خطر لا يمهله الا ريثما يتم فرض نبوته ويفرغ مجهود قوته حسب سنة الله وحكمته في خلقه فانه يبتلي عباده ويخرج ما في صدورهم. وعلى هذا فاذا راى من يدي

رسول مشرة نهه و ربما نهاه بجهير الصوت واسلوب العتاب اذا وجد نبذ بهب غار زار اسه لكي ينتبه ولكي يعلم فظاعة المنهي عنه ولكي يتذكر ان لولا الله لعثر فلشكره ويتذلل امامه ويزداد قربا منه والتصاقا به كرضيع تخوفه امه فيلتصق بلبانها .

فتبين ما ذكرنا ان الانبياء يتقلبون بين حسنيين فان الله تعالى نقاهم عن اوضار الهوى فلا يعدون الا الى مرضاة الله الا انهم ربما يفرطون في جانب فيرقوهم ربهم الى حاق الجادة وذلك لان النبي كالاصل لامته كانهم شقوا من نهجه جبلوا على طبعه وهم مامورون باقتفاء آثاره واقتباس انواره فادنى افراط منه ازاغة بجميع الامة. واما سبب افراطهم فلا يخفى انهم لا يعلمون من سرائر الناس نهايته غورها فلا يقطعون الرجاء من اصلاحهم فيجاهدون بهم كطبيب آس وحميم مواس حتى يتبين لهم انهم اعداء الله فحينئذ يتبرون منهم كما اخبر الله عن ابراهيم [فلما تبين له انه عدو الله تبرء منه ان ابراهيم لحليم اواه منيب] وكذلك ربما يقع ان النبي قد قطع الرجاء لما ظهر عليه من تمردهم ومع ذلك فيهم مطمع كما وقع يونس وذلك بان الله تعالى وحده عليم بما تكن الصدور فربما يامرهم بالاعراض والاستغناء وربما يثبتهم على المجاهدة بهم وجملة الكلام ان الله تعالى يصرف نبيه كيف يشاء فتارة يمنعه عن رحمة وضعها غير موضعها واخرى يثبته على الصبر واحتمال الاذى والعتاب على الاول دليل على كمال رحمة وعلى الثاني دليل على كمال غيرته في جنب الله وهو في كلتا الحالتين برئ عن هوى النفس والزيغ الباطل.

(٣) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (١-١٠)

[عَبَسَ] كلح لكراهية امر ويبنه [وتولّى] اى اعرض.

[انْ جَاءَه] اى لان جاءه وهذا ذكر سبب العبوس فان سبب الكراهية

فی ذلک الوقت کان مجیئہ لانفسہ کما ستعلم.

[اَلْاَعْمٰی] اتفقوا علی انہ ابن ام مکتوم - عبر عنہ بہذا الوصف للدلالۃ علی ضعفہ واحتیاجہ و عدم اطلاعہ علی ما کان فیہ النبیؐ من الشغل و ما کان یقتضی الحال.

[وَمَا یُدْرِیْکَ لَعَلَّہٗ یَزَّکّٰی] مفعول [ما یدریک] محذوف واقیم مقامہ [لعلہ یزکی] للدلالۃ علیہ بالمقابلۃ کما فی قولہ تعالٰی [وما یدریک لعل الساعۃ قریب] ای ما یدریک ان الساعۃ بعید فلعلہا قریب وکذلک قولہ تعالی [وما یدریک لعل الساعۃ تکون قریبا] فتاویل الآیۃ - کیف العلم بک انہ لم یجی لما یسترک من التزکی او التذکر حتی استحییت من الکفار ان یقولوا انما یتبعہ العبیان و ضعفاء الناس لسفاہۃ عقولہم او لما یطمعون من محمد لرحمتہ بہم او کیف نتبعہ حتی نکون معہم کما جاء فی القرآن کثیرا فی ذکر اقوالہم. وہذا صریح فی ان النبیؐ لم یعلم من الاعمی انہ جاء للتزکی او التذکر وانما کان سبب الکراہیۃ محض مجیئہ الذی کان مظنۃ لما ذکرنا. واما ما روی انہ سأل النبی ان یعلمہ القرآن فتولی عنہ فغیر ثابت من طریق الروایۃ فکیف والقرآن صریح فی خلافہ وسیاتیک بیانہ.

قولہ [یزکی] ای یتطہر من صحبۃ النبی ودعائہ فتقبل توبتہ ویصلح بالہ.

[یَذَّکَّرُ] ای ینتفع بما یسمع من القرآن وعظۃ النبی،

[اسْتَغْنٰی] ای عن التزکی والتذکرۃ والانابۃ والخشیۃ کما دل علیہ ما قبلہ وبعدہ بالمقابلۃ فاکتفی بہ.

[تَصَدّٰی] اصلہ تتصدد من الصدد وہو القبالۃ یقال داری بصدد دارہ - تصدی ای تعرض لہا وہو ضد تولی

[وَمَا عَلَیْکَ اَلَّا یَزَّکّٰی] ای لیس علیک بأس او حرج او لوم من عدم طلبہ للتطہر.

[يسعى] اريد به المجي بالشوق على سبيل الكناية وليس المراد به الاسراع بالقدم لدلالة الموقع وكما يبينه قوله [وهو يخشى] وهذا مثل ما مر في قوله تعالى [فاسعوا الى ذكر الله]

[يخشى] جامع عام لاطلاقه وفيه النظر الى يوم القيامة لما مر في السورة السابقة [انما انت منذر من يخشٰها]

[تلهى] اى تتلهى - تلهى عنه اشتغل عنه من قولهم الهانى عنه ذلك اى شغلنى عنه فما اعتنيت به قال عقبة بن بجير

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهنى عنه غزال مقنع

(٤) (موقع هذه الآيات وتصوير قصتها).

موقع هذه الآيات منع النبى صلى الله عليه وسلم عن اضاعة الوقت بالمصرين على الكفر وحثه على التزام المومنين وبيان ذلك ان الله تعالى امره بتقديم الدعوة لرؤساء قومه الذين كانوا ذوى الرياسة الدينية وبالاعراض عنهم اذا تبين اصرارهم على الكفر وبالتزام من تبعه من الناس. كما قال تعالى [وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون. وتوكل على العزيز الرحيم. الذى يرٰيك حين تقوم. وتقلبك فى السٰجدين.] فاشتغل النبى بدعوتهم وقد رأى منهم شدة الانفة والكبرياء، وكان من شدة رحمته يصبر على ذلك ويرجو ان ينتفعوا بالوعظ فكان كلما زادوا جماحا زاد الحاحا، رحمة بهم وشفقة عليهم وايفاء بفريضة الرسالة العظمى الخاتمة المتمة ورجاء ان يعز الاسلام بايمان الاقوياء ذوى الباس والنجدة وقد صدق ظنه بايمان ابى بكر وعمر وحمزة وآخرين من السابقين الاولين وخوفا من ان يكون قد قصر من الجهاد والصبر فى ما فرض عليه ولكن لما كان فى ذلك لبعض شغل عن الذين هم احق بعنايته وتنزل عن سمو محله

فان الله تعالى لم يأمره بالخضوع بل ارسله بالعز الشامخ والشرف الباذخ
فكان الله تعالى كثيرا ما يصرفه عن الاسف لهم والالحاح عليهم الى الاشتغال بالصالحين
كما قال تعالى [لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا] و
كما قال تعالى [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا (اى اهل العدة والعدد كما قال تعالى
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا - فان القوة لله تعالى) ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا . وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر] وكما قال تعالى [فتول عنهم فما انت بملوم] اى لا لوم عليك ان لم يؤمنوا
فانك قد اوفيت بما كان يجب عليك ومثله كثير ومما ذكرنا يتبين ان الله تعالى
كلما وجد نبيه قد غلا فى هذا المنهج اوحى اليه بعض ما يصرف عنانه الى التوسط حتى وقعت
هذه قصة عبد الله بن ام مكتوم والوحى ينتظر الوقائع المناسبة فجعلها الله سببا لزجر
الاغنياء ومدح الفقراء وتطريب المنكسرى القلوب بابلغ ما يكون من اساليب الكلام
فانزل على نبيه ما كان غاية فى التنبيه على افراطه فى الدعوة والزجر للمصرين على كفرهم و
صورة الواقعة انه لما جاء اليه ابن ام مكتوم خاف النبى ان يقولوا انما يتبعك
العميان والضعفاء لما نعاينهم بقصر عقولهم افتريد ان تخلطنا بهم كلا لن نتبعك ابدا الا
ان تطرد هولاء فانهم ليسوا باكفائنا . وقد صرحوا بذلك كما حكى الله تعالى عنهم [قالوا
انؤمن كما آمن السفهاء] وكما فصل ذلك حيث قال تعالى [وانذر به الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون . ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شئ
وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظلمين . وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشكرين . و

اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة، انه من
عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم٠] وقال تعالى [فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين. انا كفيناك المستهزئين. الذين يجعلون مع الله
الها آخر فسوف يعلمون. ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون٠] ومما يخاف
من مجيء عبد الله بن ام مكتوم في ذلك المجلس ان يذل اصحابه في عيون المتكبرين
فان النبي ﷺ لسعة جوده ورأفته بالناس كان يحب الضعفاء والنبي ﷺ من شدة غيرته و
حيائه لم يكن ليرضى بما يطعنون في اصحابه الذين آمنوا ابتغاء لوجه ربهم لا لطمع دنيوي
فلما وقع هذا الامر حان ان يبين الله لنبيه انه قد بلغ من الغلو في الدعوة ما لا ينبغي
له واخرج الكلام مخرج العتاب حسب الظاهر ولكنه في الحقيقة زجر للكافرين
وثناء على النبي ﷺ وتطييب لقلوب المؤمنين. والنبي في هذا الخطاب مثله مثل راع
صالح خرج في طلب خروف سمين شريد حتى ذهل ساعة عن قطيعة الصالحة التي
تتبع اثره وتسمع نداءه فان لم يكن هذا الشريد اجدر برأفته من سائر الغنم
فالذنب له لا للراعي الشفوق فان خاطبه مالك الغنم بعتابه. مالك قد ضربت
صفحا عن القطيعة الصالحة وتهالكت على خروف غير طائل دعه يأكله الذئب فانه
اولى به. علم كل ذي عقل ان هذا العتاب وان كان بحسب الظاهر متوجها الى الراعي
ولكنه في الحقيقة سخط بالخروف الاحمق ومدح للقطيعة الصالحة ودليل على شدة
رأفة الراعي وحنوه في الغاية ولكن هذا المعنى مع ظهوره ودلالة باقي الكلام عليه قد
التبس على بعض المفسرين فتوهم اوهاما تخالفها نفس هذه الآيات والآن
نبين ذلك بتوفيق الله تعالى.

(٥) (ازاحة باطل توهموه في القصة وفي وجه العتاب)

روی عن مجاہد قال - کان النبیؐ مستخلیا بصندید من صنادید قریش وہو یدعوہ
الی اللہ وہو یرجو ان یسلم اذ اقبل عبد اللہ بن ام مکتوم الاعمی فلما راہ النبیؐ کرہ مجیئہ
وقال فی نفسہ یقول ہذا القرشی انما اتباعہ العمیان والسفلۃ والعبید فعبس فنزل
الوحی عبس وتولی الی آخر الآیۃ - فہذا تاویل مجاہد ہو الظاہر من القرآن کما
قدمناہ فی الفصل السابق ولکن آخرین توہموا فی القصۃ ان ابن ام مکتوم جاء
الی النبی وسألہ الرشد والتعلیم فاعرض عنہ فعاتب اللہ النبیؐ ونسبوا ہذا القول
الی المشاہیر من السلف فمنہم من یروی عن عائشۃؓ ان ابن ام مکتوم قال للنبیؐ
ارشدنی وعندہ رجل من عظماء المشرکین ومنہم من یروی عن عائشۃؓ ان النبیؐ
کان فی مجلس من وجوہ قریش منہم ابوجہل وعتبۃ بن ربیعۃ. ومنہم من یروی عن
ابن عباس انہ کان یناجی عتبۃ بن ربیعۃ والعباس بن عبد المطلب واباجہل بن
ہشام فجاءہ ابن ام مکتوم یستقرءہ آیۃ من القرآن وقال علمنی مما علمک اللہ
فاعرض عنہ وعبس فی وجہہ وتولی وکرہ کلامہ. ومنہم من یروی عن الضحاک
ان النبیؐ لقی رجلا من اشراف قریش فاتاہ ابن ام مکتوم فجعل یسأل عن
اشیاء من امر الاسلام ومنہم من یروی عن عائشۃؓ انہ اتی النبیؐ وعندہ عتبۃ
وشیبۃ ومنہم من یروی عن ابی مالک انہ کان یتصدی لامیۃ بن خلف ومنہم
من یروی عن انسؓ ان ابن ام مکتوم جاء الی النبیؐ وہو یکلم ابی بن خلف فاعرض
عنہ ولا یخفی ان ہذہ الروایات کلہا تنتہی الی الذین لم یکن احد منہم شہد الواقعۃ
فلو صحت لم یکن الا استنباطا لا اخبارا والظاہر من اختلاف ہذہ الروایات انہا
ظنون واوہام ناشئۃ مما توہموا من التاویل فوضعوا القصۃ وخبرا افتراءً
علی من اسندوہا الیہ فکیف یوثق بہا واسانیدہا ضعیفۃ جدا والقرآن ظاہر الدلالۃ
علی کذبہا وذلک بوجوہ :-

الاول ان الآية لا تقول انه عبس من الاعمى او عبس في وجهه كما قيل وهل يحس الاعمى بالتعبس انما تعبس على مجيئه الذي كان مما يطلق السنة هولاء المفحمين فيجدون للقال مجالا ولم يكن لهم ان ينبسوا بكلمة حين كان يقرعهم بالدلائل الواضحة على التوحيد والمعاد وترك الانداد كما جاء في السورة وهي الامور التي كان يدعو اليها حين نزول السورة ۔

والثاني ان قوله تعالى [وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى] صريح في انه عليه الصلوة لم يعلم ان الاعمى جاء اليه ليطهر قلبه او ينور عقله بالذكر. فان النبي لو علم بذلك لالتفت اليه بالبشاشة فكانه قيل له - لقد ضقت ذرعا بان جاءك بما تكرهه وما يدريك ذاك لعله جاء بما تقربه عينك - وبالجملة فالقرآن يابى ان يكون النبي قد علم بان الاعمى جاء لامر ديني من التزكي او التذكر ثم عبس له .

والثالث ان قوله تعالى [وما عليك الا يزكى] صريح في ان النبي كان قد غلا في امر الدعوة كانه قيل له ليس عليك حرج لاجل انهم لا يتزكون حتى لا تزال بهم الى ان يومنوا فيتزكوا ولذلك نظائر كثيرة مثلا قوله تعالى [لست عليهم بمصيطر] وقوله تعالى [فتول عنهم فما انت بملوم] وقوله تعالى [فان تولوا فانما عليك البلغ المبين] واسلوب هذا القول ظاهر في التخفيف عن النبي ما تحمل من المجاهدة بالمنكرين وذلك بمعزل بعيد عن حقيقة العتاب الذي يخشى لو اعرض النبي استحقارا لمومن ضعيف كما توهموا. وهذا الكلام بعد قوله تعالى [اما من استغنى فانت له تصدى] يبين ان تصديه كان من ولوعه بالدعوة لا الاستكبار في نفسه من الضعفاء

والرابع ان ما بعد هذه الآيات وهو قوله تعالى [كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره]

يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى] يبين ان هذا التلهي والتشاغل لم يكن ما ينبغي لقدر نبيه الكريم وكتابه العزيز كما سيأتيك بيانه .

والخامس انه ليس ههنا موقع للعتاب الحقيقي على تسليم ما رووه من ان الاعمى كلم النبي يستقرئ القرآن او يسأله الرشد او عن اشياء من امر الاسلام كما تبين مما نذكره في الفصل الآتي . وبالجملة اذا نظرت في نفس هذه الآيات وما قبلها وما بعدها تبين لك ان الكلام ليس الا لتعليم النبي الاستغناء والترفع حسبما يليق بعزته وعزة دعوته . واسلوب العتاب ههنا ابلغ ما يكون في منعه عن الافراط في اداء فريضة الدعوة وفي تطييب نفسه ونفوس الضعفاء من المؤمنين وفي زجر الاغنياء من المتكبرين كما سيتضح كل الاتضاح من النظر فيما يتلو من باقي السورة .

(٦) (ازاحة باطل اكبر مما سبق)

بعد ما تبين التأويل الصحيح الصريح لم تبق حاجة الى ذكر ما بني على محض التوهم لكن اردنا ان نريك شناعة ما يجر اليه الاعتماد على الروايات الباطلة لتكون على حذر منها فاعلم ان الامام الرازيؒ قد تفطن بان ههنا لم يكن موقع للعتاب . فاجتهد للجواب فقال ما خلاصته كيف عاتب الله رسوله على ما صدر منه فان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر فانه وان كان اعمى ولكنه كان يسمع مخاطبة النبي اولئك الكفار فعرف شدة اهتمام النبي بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلام النبي والقاء غرضه في البين ايذاء للنبي وذلك معصية . ثم ان الاهم تقدم وهو كان قد اسلم وتعلم ما كان يحتاج اليه اما اولئك الكفار فيكون اسلامهم سببا لاسلام جمع عظيم فاقدم ابن ام مكتوم على ما يكون سببا لقطع الخير العظيم . ثم انه تعالى قال [ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون] فنهاهم

عن مجرد النداء فی غیر وقتہ فہذا انداء ابن ام مکتوم الذی کان کالصارف عن اعظم
مہمات النبی اولی بان یکون ذنباً ثم من الظاہر ان النبی کان ماذوناً تبادیب
اصحابہ وکان یزجرہم عن اشیاء فکیف عاتبہ اللہ علی ماکان ماذوناً فیہ. قال رحمہ اللہ
فہذا جملۃ ما یتعلق بہذا الموضع من الاشکالات ثم قال رحمہ اللہ ماخلاصتہ ان الجواب
من وجہین الاول ان الامر وان کان علی ماذکرتم الا ان ظاہر الواقعۃ یوہم
تقدیم الاغنیاء علی الفقراء فلہذا السبب حصلت المعاتبۃ اقول وہذا الوجہ سلیم
من القبح ولکنہ ضعیف فان اللہ تعالیٰ اعلم بالسرائر ولا یعاتب الا للنہی فہل نہی
النبی عن تادیب اصحابہ کما ذکر فی السوال وہو ماذون فیہ. قال والثانی ان
العتاب لعلہ لم یقع علی ماصدر من الرسولؐ من الفعل الظاہر بل علی ان قلبہ قد
مال الیہم بسبب قرابتہم وشرفہم وعلو منصبہم وکان ینفر طبعہ عن الاعمی بسبب عماہ
وعدم قرابتہ وقلۃ شرفہ (رحم اللہ الرازی کانت ام مکتوم خالۃ خدیجۃؓ وناہیک
بہ شرفا وقرابۃ لابنہ) فوقعت المعاتبۃ لا علی التادیب بل لاجل ہذہ الداعیۃ
اقول وہذا الوجہ فی غایۃ الشناعۃ اتینفر النبی عن الاعمی لعماہ بل ہو اولی بالرحمۃ
والاسی. لعمرک ہذا بعید عن مومن فکیف بنبی. فانظر کیف اہتدی الرازی رحمہ اللہ
اولا لما ہو الحق الصریح وہو ان ہناک لا وجہ للعتاب علی النبیؐ ولکن اعتمادہ
علی الروایات الضعیفۃ اوردہ ہذا المورد الشنیع فلئن نزہ جانب الرب
تعالیٰ عن العتاب فی غیر محلہ فقد دنس جانب رسولہ بما نسب الیہ ما قلہ
لا یظن بخلقہ العظیم. وبالجملۃ فالقرآن وموقع الکلام واحوال النبی کلہا یبطل ما
توہموا من التاویل وذکروا من الروایات الباطلۃ الضعیفۃ.

(۷) (نظم ہذہ الآیات بماقبلہا)

كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (۱۱) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (۱۲) فِى صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ (۱۳) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (۱۴) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (۱۵)
كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (۱۶) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (۱۷)
مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (۱۸) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (۱۹)
ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (۲۰) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (۲۱) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (۲۲)

لما كان موقع هذه الايات تنبيه النبي على علو منصبه لكيلا يتنازل الى الالحاح بالذين اظهروا الاستغناء حتى يشتغل عن الذين يبتغون وجه ربهم اكد هذا الامر ببيان علو ما انزل اليه ليعلم ان الاستغناء عن هؤلاء هو الانسب فقال عز من قائل حكيم:

(۸) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (۱۱-۲۲)

[كَلَّآ] تاكيد لما تقدم من الانكار على غلو النبي في الدعوة ومن تعليمه الاستغناء كانه قيل - لا يليق بك ان تلح عليهم بهذا الالحاح - كما يبينه ما بعده.

[إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ] الضمير راجع الى ما تقدم من كلمة [ذكرى] والمراد بها القرآن وآياته وتلاوته وانما اختار الضمير المؤنث لرعاية ما سبق من كلمة الذكرى وما لحق من كلمة التذكرة. والجملة موقعها ذكر الدليل لما دل عليه كلمة [كَلَّآ] من تعليم الاستغناء.

[فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ] اي ذكر ما ذكرت عليهم من الذكر واختار الضمير المذكر لما يتبادر اليه الفهم من المراد به وهو القرآن. وموقع الجملة بيان قوله تعالى [انها تذكرة] اي القرآن محض التذكير والتذكر ليس في شيء من الاكراه والالحاح كما جاء كثيرا في القرآن، وفي هذه الجملة ايجاز، اكتفاء بما دلت عليه بالمقابلة اي فمن شاء ذكره

ومن شاء لم يذكره وربما يصرح به كما في قوله تعالىٰ [فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر]۔

[صُحُفٍ] الصحف جمع صحيفة وهي الورقة المكتوبة كما سميت صحيفة المتلمس وصحيفة الجور ولعل الكلمة مقلوبة من الصفيحة لكل عريض كصفيحة الحجر والسلف والعنق. وبصيغة الجمع ربما يراد بها الكتاب لاشتماله على الاوراق كما في قوله تعالى [رسول من الله يتلو صحفا مطهرة] قوله تعالى [في صحف] اى هو في صحف وموقع الجملة بيان اوصاف ما تقدم وحذف المسند اليه في ذكر الاوصاف التابعة هو الاسلوب المعروف وقد جاء في القرآن كثيرا وذكرنا الشواهد فلا نعيده ههنا. وهذه الاوصاف صريح الدلالة على ما ذكرنا من التنازل من ان منزلة القرآن ارفع جدا من ان تعرضه على هولاء بهذا الالحاح فهذه الجمل تاكيد لما دل عليه ما سبق من الاستغناء وموقعها ذكر الدليل على لزوم الاستغناء. كما قال تعالے [فتولوا واستغنى الله]

[مَرْفوعة] كلمة جامعة لمعنى العلو والمنزلة كما قال تعالى [وانه في ام الكتب لدينا لعلى حكيم] وايضا كما قال تعالى [والقرآن المجيد] وهذان الوجهان بيان جانب من صفة [مكرمة]

[مُطَهَّرَةٍ] هذه الصفة ايضا تبين جانبا من صفة التكريم. اى لا تصل اليه ايدي الشياطين والسفلة من الارواح كما قال تعالىٰ [في كتب مكنون لا يمسه الا المطهرون] وكما قال تعالى [بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ] ويشبهه [كتب عزيز]

[سَفَرَةٍ] هي جمع سافر للكاتب والقاري من السفر للكتابة والقراة وهذه الكلمة باقية في العبرانية واصل معناها النقش ومنه الكتابة فان الكتابة كانت اولا بالنقش بقلم الحديد ثم توسع للبيان والقراءة. في العبرانية- ספר (سفر) النقش والكتابة والقراءة - סֹפֵר - (سافر) كاتب فقيه امام قائم. فصح ما قال قتادة - هم القراء وروى ابن جريج عن ابن عباس السفرة بالنبطية القراء. ويوجد في العربية ايضا

بمعنى الخشن كما قال ر و تب ـــ

تسفير موسى الصلع الجلام

وهكذا البقي في العربية باوة كتب في اصل معناها كامر:

[كِرَامٍ] اي جديرين باحتمال هذه الامانة فلا يهون فيها شرافتهم.
[بَرَرَةٍ] جمع البار للمطيع والموفي بذمته فهذا تاكيد تحفظهم هذه الامانة كما قال تعالى [نزل به الروح الامين] وكما قال تعالى [انه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم امين] ومفاد هذه الجمل بيان رفيع منزلة هذه القرآن ليتبين انه لرفعة منزلته وقدسه ليس مما يعرض بهذا الالحاح على هولاء. وهذه الآيات تتضمن امرا عظيما من وصفه وهو انه مكتوب عند الله ومقرر ومحفوظ من كل ريب وشوب. واعلم ان المراد من الرفع والتطهير والصحيفة امور السلأ الاعلى وقد فهمنا المفاد كما بينا واما تاويلها وتعيينها وتصويرها فكما يليق بذلك المكان الاعلى.

[قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ] [الانسان] كثيرا ما يراد به الاكثر منهم وهم الكفار فاما ان يكون اللام للعهد واما ان يكون الحكم على النوع حسب اكثرهم كما قال تعالى [ان الانسان لظلوم كفار] ومثله كثير. [قتل] منقول عن الحقيقة فانما يراد به اظهار السخط و[ما اكفره] بيان سبب هذا السخط والانكار على مسلكه.

[مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ] استفهام تحقير وتمهيد لما بعده من ذكر حالة الانسان
[نُطْفَةٍ] ماء قليل ترشح كما قال ابو صخرة البولاني ـــ

نما نطفة من حب مزن تقاذفت   به جنبتا الجودي والليل دامس

وكما قال تعالى [ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين] ففي نفس هذه الكلمة ابطال ما استبعدوه من البعث فان اول الخلقة جمع من مواضع شتى كما قال تعالى [ولقد علمتم النشأة فلولا تذكرون]

[فقدّره] ای قدر اعضاءه وقواه کما شاء ومفاده بیان عجزه وکمال تصرف ربه فیه کما قال تعالیٰ [فی ای صورة ما شاء رکبک] وفیه ایضا بیان نعمة الرب علیه لما جعله بهذا التقدیر احسن خلقه کما قال تعالیٰ [وصورکم فاحسن صورکم] وتفصیله فی تفسیر سورة والتین.

[السَّبِیْل] اللام فیه للعهد ای السبیل الذی یسلک فیه باستعمال ما قدر فیه من الاعضا والقوی فهداه لاستعمالها وهیأ له الاسباب کما قال تعالیٰ [الذی خلق فسوی. والذی قدر فهدی.] وکما قال تعالیٰ ذکرا عن قول موسیٰ [ربنا الذی اعطی کل شئ خلقه ثم هدی] واذ علمنا من القرآن والفطرة ان الله تعالیٰ هدی الانسان وبین له الخیر والشر ولم یکرهه من قبل بهذا ولا لذاک کما قال تعالیٰ [فجعلنٰه سمیعا بصیرا. انا هدینٰه السبیل (ای سبیل الخیر لدلالة المحل) اما شاکرا واما کفورا.] وکما قال تعالیٰ [ونفس وما سوٰها. فالهمها فجورها وتقوٰها. قد افلح من زکٰها وقد خاب من دسٰها.] وقد علمنا من القرآن وصحیح الخبر وصریح العقل ان التیسیر یاتی من الرب تعالیٰ حسبما یختار الانسان لنفسه من سبیلی الخیر والشر کما قال تعالیٰ [فاما من اعطی واتقی وصدق بالحسنٰی فسنیسره للیسری. واما من بخل واستغنی وکذب بالحسنٰی فسنیسره للعسری.] فالتاویل ان الله تعالیٰ بعد ما خلق الانسان والهمه الخیر والشر لم یکرهه بل یسر له ما اختار لنفسه فجعل اعضاءه وقواه والاسباب طوع ارادته. وهذا من اکبر النعم کما هو مبسوط فی موضعه.

[فاقبره] قبره دفنه واقبره جعل له قبرا

[انشره] نشره بسطه وبثه والافعال للمبالغة ای اقامه سویا بعد ما کان مقبورا خامدا.

(١) نظم هذه الجملة فی نفسها وبالسابق واللاحق

بعد ما بین علو منزلة هذا القرآن وترفعه عن المتدنسین اکد شناعة استغناء الانسان عن هذه النعمة العظمی بذکر کمال عجزه بجنب کمال قدرة الرب تعالیٰ علیه وبهذا بین شدة شناعة کفرانه بذکر کمال نعمة ربه. ولما تضمن هذا البیان وجوب الایمان بقدرته والشکر لنعمه اتبعه قوله [ما اکفره] ای ما اکبر تکذیبه وکفرانه هذا. واعلم ان قوله تعالیٰ [من نطفة الی قوله [فاقبره] جامع لبدء حالة الانسان ووسطها واخرها فاما بدؤها فانه مخلوق من ماء قلیل ترشح بتقدیر الرب الحکیم من اطراف الجسم وهذا مفهوم من کلمة نطفة کامر ثم جری علیه تصرف الرب فهذا بدؤها واما وسطها فانه لا یقدر علی شئی مما یرید فی تقلباته الا بتیسیر الرب تعالی وفی ما بین الحالتین ظهور قدرة الرب ونعمته علیه واما اخرها فانه اماته واقبره وفیها ظهور کمال عجز الانسان وکونه بالکلیة تحت قدرة ربه ثم بعد ذکر هذه الاحوال الدالة علی الربوبیة والقدرة تبین لزوم البعث للجزاء الذی هو مقتضی ما سبق من دلائل کونه مصنوعا ومیسرا فی تقلباته فی هذا المعاش وذکر من احوال الانسان ما یکون بعد هذه الحیوة والممات من النشور الی ربه والان قابل کیف دل علی عجز الانسان وفقره الی ربه من اول امره الی یوم نشره فما ابعد حاله عن الاستغناء والاعراض عما انزل الیه ربه من الذکر وهو احسن ما یسر له والنعم به علیه مع انه مخلوق ومتصرف فیه راجع الی مولاه القادر الحکیم فبعد ما ذکر هذه الدلائل التی فی نفسه اعقبها مثلها مما یری فوقه وتحته وحوله من الدلائل علی کونه عبدا مربوبا مرزوقا لیبین شناعة عصیانه وفجوره کل بیان فقال عز من قائل حکیم ؎

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤)
أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَ
حَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)

(١٠) تفسير الكلم وتاويل الجمل في آيات (٢٣-٣٢)

[كلا] زجر على استغنائه وعصيانه كما يبينه ما بعد ذلك

[لما يقض] اى هو مستمر فى عصيانه الى الآن.

[ما امره] عام لما الهم فطرة من الشكر لربه والمواساة بالخلق ولما انزل اليه بواسطة الرسل من الاوامر والنواهى

[أنا] موقع الجملات التالية موقع البدل من الطعام اى فلينظر الى هذه الامور.

[صببنا الماء صبا] اى انزلنا ماء كثيرا كما قال تعالى [وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا]

[وشققنا الارض شقا] بيان جامع لاربعة معان: ١ لما تفتح الارض افواهها فتشرب الماء فتعيه و ٢ لما جعل الله فى الارض من الانهار والجور ويؤيده نهره فتقه وبحره شقه. و ٣ لما تنشق الارض بالنبات فيخرج منها ازواج شتى. و ٤ لما يشقها الحراثون. وكل هذه المعانى مناسبة ههنا فاتى بكلمة جامعة.

[قضبا] القضب نبات يوكل ناعما خضرا ولذلك تسمى الرطبة قضبا وهو بالفارسية اسپست. من قضبه قطعه بصوت مشابه بتلفظ حروف قضب ويشبه لفظ المضغ و القضب جامع لكل ما يوكل رطبا.

[حَدَائِقَ] جمع حديقة للروضة المحاطة وتطلق على الاشجار ايضا كالنخل والشجر.
[غُلْبًا] جمع اغلب لغليظ العنق و وصف الحدائق بالغلب اما على كون المراد بالحدائق الاشجار كما ذكرنا واما على وصف الشي بوصف متعلقه كما هو الاسلوب الشائع في العربية اي غلب الاشجار والاول هو الظاهر لان سائر ما ذكر كلها من النبات ولان الفعل المتقدم هو انبتنا .

[أَبًّا] الأَبّ العشب والمرعى من اب يوب ابًّا وابابا واباية نشأ وطلع وهي مادة قديمة جرى فيها تصرف اللسان فنجدها في صور متشابهة مثلا أَمَّ وهَمَّ وهَبَّ وتأَهَّبَ ثاب صورة اخرى لهب ولذلك نظائر مثلا هزّ وازّ واراق وهراق قال الاعشى ع - اخ قد طوى كشحا وأَبَّ ليذهبا . اي هب وهم . وانما سمي المرعى ابًّا لنشئه اولا بعد المطر ومنه أَبَّانَ النبات . لاول خروجه ثم توسع فقيل ابان الشباب لمناسبة ظاهرة ثم ابان كل شي اول وقته . يقال كل الفواكه في اِبّانها .

ف وتوهم الجوهري وغيره فجعل الابان فعّالا من مادة ابن ولا مناسبة بينهما فان ابنه لشي اتهمه به من الابنة وهي العقدة في العود . وانما هو فعلان من اب لما يدل عليه المناسبة بينهما ولما تجد هذه المادة بهذا المعنى في العبرانية وهي اخت العربية אבב (اب ب) אב (اِب) الخضرة والثمرة אביב (ابيب) السنبلة الخضراء واول شهورهم وهو الربيع لظهور النبات فيه اولا .

ف وما ذكرنا تبين ان هذه المادة مما عرفته العرب وانما قل استعمالها في اشعارهم لخفة مرادفاتها ولكن اذا اريد استعمال كلمة جامعة وحسن موقعها لم تترك بل تكون احسن من غيرها . وحسن موقعها ههنا غير خفي ويأتيك زيادة البيان في الفصل التالي . هذا فلا يصح ما يروى من ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما اعترفا بجهلهما به . اول هذين الخبرين منقطع والثاني مضطرب . واليقين

بضعفها من وجوه : الاول ان هذه السورة مكية والصحابة اهم شغلهم تلاوة القرآن فكيف لم يسألوا النبي عن معنى كلمة مع طول مدة الصحبة وكيف لم يعلمهم النبي اياها ولو كان القرآن مذهولا عنه حتى اذا توفي النبي فقرؤوه اطلعوا على عدم علمهم بهذه الكلمة وانتبهوا فاعترفوا بجهلهم بها. والثاني انا نجد القرآن اسهل وابين لسانا من عامة اشعارهم وخطباتهم وكانت قريش حكامون على الشعراء في عكاظ و كان ابوبكر من رؤسائهم وخطبائهم وكان عمر لسان قريش وسفيرهم فلا بد ان يكونا اعلمهم بصروف الكلام وقد علمنا كثيرا من انتقاد عمر رض ما يدل على علو محله في علم اللسان العربي والثالث ان القرآن انما انزل بلسانهم عربيا مبينا ليدعى به الناس ويعقلوه كما قال تعالى [وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه] وقال تعالى [انا جعلنه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون] والرابع ان الوضاعين لم يذكروا ذلك الا عن اكبر الصحابة واعلمهم ونعلم لشدة حنق مبغضيهم واهتمامهم بالطعن فيهما.

[متاعا] المتاع مصدر ثم اسم لما يتمتع به ومنه للسلعة والمتاع يتضمن قلة المدة فربما يوكد بالتصريح بها وربما يكتفى بما يفهم منه كما قال تعالى [متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم] اي تمتع لمدة قليلة. والشواهد على ما ذكرنا كثيرة وقوله تعالى [متاعا لكم] سائغ ان يكون مصدرا كما في قوله تعالى [يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى] وعلى هذا تأويله لاجل ان نمتعكم بها. وان يكون حالا اي وهذه متاعا لكم ومآل التأويلين واحد والاول ادل على الربوبية والانعام لصراحة دلالته على ارادة الرب ان يمتعهم.

(١١) (نظرة في نظم ما ذكر من اسباب الطعام والمتاع)

توجهك الى امثال هذه الآيات في ثلاث سور سابقة فان هذه السور الاربع

متشابهات فی مطالبها. ولکل موقع اسلوب جدید من الایجاز والتفصیل والترتیب فان الکلام ذو افانین ونذکرههنا ما یلیق بهذا المقام فاعلم ان فی هذه الآیات تقدیم الاقدم فالاقدم واختیار التفصیل والاستقصاء مع الایجاز وبیان ذلک انه تعالی ذکرا ولاً ما یسقی کثیرا وهو سریع الاخراج برزته فلولا صب الماء الکثیر من السماء لم یحصل للانسان ما هو اکبر قوام عیشه وذلک ثلثة اصناف حب وثمر وما یوکل رطبا من الخضراوات والبقول. فقدم الحب لکونها اکبر الطعام واجمع لما یعیش به الانسان واعظم الغلات المدخرة ثم ذکر العنب وهو راس الاثمار ثم هو مما یدخر ذبیبا ویشرب نبیذا طیبا. وقد عرفت العرب ذلک فقال اعشی قیس ؎

فاروی الزروع واعنابها علی سقه ماؤها اذ قسم

فذکر الزروع ثم العنب وذکر سقیها اتماما لما یجمعها من لزوم الاهتمام لها ثم ذکر القضب وهو جامع لکلما یوکل رطبا کما قال تعالی [لنخرج به حبا ونباتا] فاکل هذا النوع الکثیر السقی السریع النفع. وذکر ثانیا ما هو بطیء الاخراج یاکله ویسقیه السماء وذلک قسم الاشجار کلها فقدم الزیتون لکونه مبارکا ولکونه اخص الغلات کما سنذکر ثم ذکر النخل و ... للعرب قوام ولذة معا فیجمعهم وغنیهم ثم ا ل هذا النوع بما یستوفی اشجار الثمر الغلاظ الجذوع. ویشبه ما ذکرنا ما جاء فی التوراة فانها تذکر من غلات الارض الحب والعنب والزیتون (تثنیه ص۲۲ ف ۱۹-۲۱) ایضا ص۲۳ ف ۳۸-۴۰) وانما ترک النخل لان ارض الشام لم تکن باجود منابتها فاما العرب فالتمر هو جل غلاتهم ولذلک ربما تذکر مع النوع کما فی قوله تعالی [فی جنت وعیون، وزروع ونخل طلعها هضیم] ایضا [ونزلنا من السماء ماء مبرکا فانبتنا به جنت وحب الحصید. والنخل باسقت لها طلع نضید]

ایضا [وجنت من اعناب وزرع ونخیل] فہذان القسمان استوفیا جل مایزعہ الانسان ویغرسہ فبعد ذلک ذکر ثالثا مایستوفی الباقی من نبات الارض فاتی بکلمتین جامعتین وہما الفاکہۃ والاب: الاولی للانسان والثانیۃ للانعام کما صرح بک بقولہ [متاعا لکم ولانعامکم] فتری فی ہذا النظم اسلوب الاستدراک بما یستوفی الباقی وہذا کثیر فی القرآن کقولہ تعالیٰ [بما تبصرون وبما لا تبصرون] وکقولہ تعالیٰ بعد ذکر اسماء الرسل [ورسلا قد قصصنہم علیک من قبل ورسلا لم نقصصہم علیک] وکقولہ تعالیٰ بعد ذکر حاملات الاثقال من الخیل والبغال والحمیر [ویخلق ما لا تعلمون]

(۱۲) نظم ہذہ الجملۃ بالسابق واللاحق

لا یخفی ان خلاصۃ ہذا الذکر ان اللہ تعالیٰ رزقنا ورزق انعامنا فکلنا عیال علیہ و انعامنا مذللۃ تحت ایدینا مع انہا تاکل شکلنا من رزق اللہ فما تمنع بنا ان نعصی الرب تعالیٰ ہذا ونظیر ہذا الذکر قد مر فی السورۃ السابقۃ فلا نعید ما قدمنا ہناک ولکن نذکر ہہنا بقدر ما یبین ربط ہذہ الجملۃ بالسابقۃ واللاحقۃ. فاعلم ان السابقۃ تذکر شناعۃ استغنائہ من جہۃ کفرہ وانکارہ وہذہ تذکر شناعۃ استغنائہ من جہۃ فجورہ وعصیانہ وفی کلتا الجملتین دلالۃ واضحۃ علی الربوبیۃ وعلی البعث وکل ذلک یہدی الی الایمان بالجزاء وایضا ما ذکر من امر طعامہ ومتاعہ مثل جامع لہذہ الحیوۃ والآخرۃ کما قال تعالیٰ [یاایہا الناس انما بغیکم علی انفسکم متاع الحیوۃ الدنیا ثم الینا مرجعکم فننبئکم بما کنتم تعملون. انما مثل الحیوۃ الدنیا کماء انزلنہ من السماء فاختلط بہ نبات الارض مما یاکل الناس والانعام حتی اذا اخذت الارض زخرفہا وازینت وظن اہلہا انہم قدرون علیہا اتہا امرنا لیلا او نہارا فجعلنہا حصیدا کان لم تغن بالامس کذلک نفصل الآیت لقوم یتفکرون] فلما کان

فَإِذَا جَآءَتِ الصَّآخَّةُ (۳۳) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (۳۴)
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (۳۵) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (۳۶) لِكُلِّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (۳۷) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ
(۳۸) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (۳۹) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ (۴۰) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (۴۱) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (۴۲)

ذلک کذلک اتبع ہذا الذکر ذکر یوم الجزاء وایضا من اسلوب القرآن الاتی بالترغیب والترہیب مع الدلائل فقال عز من قائل حکیم :-

---

(۱۳) (تفسیر الکلم والجمل فی آیات (۳۳-۴۲))

[اَلصَّآخَّةُ] صخ سمعہ اصمہ وسمیت القیامۃ صاخۃ لصیحتہا الاولی ولہولہا الذی کما قال تعالی [یوم تذہل کل مرضعۃ عما ارضعت وتضع کل ذات حمل حملہا وتری الناس سکاری] ولذلک یقال للداہیۃ العظیمۃ . لا نیادی ولیدہا - فالصاخۃ جامعۃ لمعنیین وصراحۃ ولالتہا علی المعنی الاول اغنت عن بیان زائد واما المعنی الثانی فبینہ بما بعدہا الی قولہ تعالی [لکل امری منہم یومئذ شأن یغنیہ]

[یَفِرُّ] انما ہو کنایۃ عن ہول ذلک الیوم فیذہل بعضہم عن بعض کما بینہ بما بعدہ .

[مُّسْفِرَةٌ] مضیئۃ من اسفر الصبح وذلک کنایۃ عن اول ظہور المسرۃ ویفسرہ ما بعدہ

[ضَاحِكَةٌ] انما ہی کنایۃ عن المسرۃ کما یفسرہا ما بعدہا والضحک ہہنا ہو البشاشۃ بما وجدوا من الامن وقرب الحسنی .

[مُّسْتَبْشِرَةٌ] بما لقوا من النعیم العتید لہم .

[عَلَيْهَا غَبَرَةٌ] جاء بمقابلة سفرة وكنى به عن الذلة والغم كما قال تعالى [ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة] وكما قال امرؤ القيس ع

عليه القتام سئ الظن والبال

[تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ] اى يعلوها السواد والقترة اشد من الغبرة اى تغشاها غبرة ثم تعلوها سواد. وقوله تعالى [عليها غبرة ترهقها قترة] جاء بمقابلة ما سبق من قوله تعالى [مسفرة ضاحكة مستبشرة] وهذا كما جاء قوله تعالى [يوم تبيض وجوه وتسود وجوه] [الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ] المنكرون لآيات الله الجاحدون نعمه والآثمون العصاة لاوامره فهاتان الكلمتان جامعتان لما فصل فيما سبق من ذكر كفر الانسان وفجوره واستغنائه.

(۱۴) نظرة فيما دل عليه نظم السورة من الحكمة فى ذكر خلال الخير والشر

القرآن لا يترك مراعات الحكمة فى نظم ما يذكر من الامور فاعلم ان السورة ذكر خلال الخير والشر على سبيل المقابلة اما الاولى فالتزكى والتذكر والخشية واما الثانية فالاستغناء والكفر والفجور والترتيب فى الاولى نازل لان الصالحين يجرون الى الغاية فالغاية اول شئ فى نظرهم والترتيب فى الثانية صاعد لان الفاسقين لا يعلمون الى ما يجرون اليه. فذلك سبب الاختلاف بين الترتيبين. اما بيان ما ذكرنا من رعاية الترتيب فلا يخفى ان الخشية اصل الفلاح وهى الباعثة على التذكر والتذكر يهدى الى التزكى وهو المقصود. وكذلك الاستغناء اصل الفساد وهو الباعث على الكفر بالحق الواضح والكفر يهدى الى الفجور وعلى ما ذكرنا من ترتيب هذه الصفات شواهد جمة فى القرآن وقد مر فى مواضع فلا نعيده ومن يمارس يطلع.

(١٥)　(نظرة في نظم جملات السورة بتمامها)

قد تبين مما تقدم ان اول السورة في تشنيع المستغنين الكافرين الفاجرين على سبيل التعريض ابتداءً وهذا الى عشر آيات فافتتح هذه الجملة ذكر علو منزلة هذه التذكرة المكرمة المرفوعة المطهرة بايدي الملائكة الكرام وقد انزلها الله لعباده فضلا عليهم فلا يليق بالمعرضين عنها الكارهين سماعها وهذا الى ست عشرة آية. ثم اتبعها جملتين وذكر فيهما من نعمه وقدرته ما يوضح مهانة الانسان وضعفه وفقره الى ربه لتتضح شناعة كفره وفجوره اما الجملة الاولى فتذكر النعم التي في نفس وجوده وهي الى اثنتين وعشرين آية واما الجملة الثانية فتذكر النعم التي تحفظ وبها بقاؤه وهي الى اثنتين وثلثين آية وبدء الاولى بقوله [قتل الانسان ما اكفره] وبدء الثانية بقوله [كلا لما يقض ما امره] اي ما اشد الكفر ممن هو نفسه شهادة على عبوديته وفقره ورجوعه الى دار الجزاء والحساب وما اشنع طول عصيان من لا يطول عيشه الا برزق من ربه متوال وهو يرى ذلك عيانا فذكر الكفر والفجور معا كما يذكر الايمان وعمل الصالحات حسب ترتيب عقلي فان الاعمال تابعة للعقائد والاخلاق كما قال تعالى [ارايت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم] وهذا كثير في القران. هذا وخلاصة معنى الجملتين- ان الانسان يرى في نفسه نعم خالقه القادر ثم يستغني عنه وينكر بان يحاسبه فيبعثه فما اكفره ابكا فر بقدرته ام بنعمته افيريد ان ينعم عليه ويترك سدى. ثم يرى فيما حوله نعم ربه الرزاق ثم يعصيه فما افجره- والى هذين الطرفين من فساد حالهم يشير ما جاء في آخر هذه السورة من قوله تعالى [اولئك هم الكفرة الفجرة] ثم بعد ما بين فقر الانسان وجريان نعمة الرب وقدرته عليه كان ان يذكر فقره لبعد هذه الحيوة يوم يذهب عنه كلما كان سببا لغفلته واستغنائه وكفره في ... ذلك الى سبع وثلثين آية فافتتح وذكر ... مما مهد لها من الدلائل

وہکذا الحق ذکر البعث بما کان دلیلا علیہ فی الجملۃ الاولی فکما جاء بعد ذکر خلقۃ الانسان قولہ تعالیٰ [فاذا شاء انشرہ] فہکذا بعد ذکر رزقہ جاء قولہ تعالیٰ [فاذا جاءت الصاخۃ] فان الانسان اذا اتذکر خلقتہ تبین لہ قدرۃ خالقہ علی نشرہ واذا اتذکر ادرار رزقہ علیہ تبین لہ لزوم الحساب ووقوفہ بین یدی مولاہ ومربیہ ۔ ونتشبہ ہذا الاسلوب ما جاء فی سورۃ المرسلت من قولہ تعالیٰ [الم نخلقکم من ماء مہین فجعلنہ فی قرار مکین الی قدر معلوم ۔ فقدرنا فنعم القادرون ۔ ویل یومئذ للمکذبین (ای المکذبین بالبعث) الم نجعل الارض کفاتا ۔ احیاء و امواتا ۔ وجعلنا فیہا رواسی شمخت واسقینکم ماء فراتا ۔ ویل یومئذ للمکذبین] ای بالجزاء ۔ ولذلک نظائر اخر ثم بعد ذکر غایۃ فقر الانسان وشناعۃ استغنائہ وکفرہ وفجورہ ختم السورۃ بذکر مآل الفریقین الخاشیۃ المتزکیۃ والکفرۃ الفجرۃ کما بدء السورۃ بذکرہما وذلک الی اثنتین واربعین آیۃ وہی تمام السورۃ ۔ فانظر کیف جعل سیاق ہذہ السورۃ لذکر شناعۃ استغناء الانسان مع کمال فقرہ واحتیاجہ الی ما لیس لہ الرب من نعمہ السوابغ لاسیما ہذہ التذکرۃ التی ہی اعظم ما رزقہ بہ واخرج جملۃ ہذا البیان مخرج التنبیہ للنبیہ علی ان لا یلح علی ہولاء المستغنین ویشتغل بالذین ہم احقاء بہذہ النعمۃ العظمی ۔ ہذا آخر ما تیسر لنا ذکرہ فی ہذا المقام والحمد للہ رب العالمین والصلوۃ علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ اجمعین

فہرس مصنفات صاحب ہذا الکتاب

اجزاء من التفسیر المسمی نظام القرآن

تطلب من مدرسۃ الاصلاح، سرائے میر، اعظم گڈھ۔